IJLER International Journal of Language and Education Research

Volume 2, Issue 1, April 2020, p. 36-47

İstanbul / Türkiye

Article Information

Article Type: *Research Article*

This article was checked by iThenticate.

Article History:
Received
07/10/2019
Received in revised form
10/11/2019
Accepted
10/12/2019

THE PROBLEM OF MULTIPLE TERMS IN MODERN CRITICISM STRUCTURALISM AND LITERARY GENRE (AS A MODEL)

Sami Shihab AL-JUBOURI [1]

Abstract

The fragmentation of knowledge fields on themselves, and the import and export of what suits their topics and paths is a sign of openness and inclusiveness that makes their concepts vulnerable to accountability, criticism and scaling, which requires the opportunity to move from the conceptual stage to the terminological identification stage that reduces what it deems appropriate from those concepts, and the fact that the monetary field among the fields most in need of terms due to the fragmentation of intellectual philosophies and ideological affiliations of writers, critics and scholars; We decided to delve into the maze of two important terms: structuralism and literary genre. The research plan included the following: Introduction: In it we talked about how to move from the field of concepts to the field of the term, which is affected by historical development and the environmental factor; And it is in the form of word or composition. The first chapter: In it we clarified the multiplicity of visions of critics on the western and Arab levels, and from there is a difference of names, especially the emergence of the term curriculum and its tyranny over other terms. The second chapter: We talked about the differences between the critics as well, on the western and Arab levels, and how the term genre dominates neighboring terms such as type and form. In conclusion, we ask Almighty Allah to be satisfied with what we have presented, and we wish to benefit those who wish to have benefit.

Key Words: Problem of multiple, modern criticism, structuralism, Literary Genre.

[1] Corresponding Author: Prof. Dr. Kirkuk University, Iraq sami_samiahmd@yahoo.com

إشْكاليَّة تَعدّد المُصطلحَات في النَّقدِ الحديث

(البُنيويَّة والجِنسُ الأدبي) أنْمُوذجاً

سامي شهاب احمد الجبوري[2]

مُلخَّص

إنَّ انشطارَ الحقول المعرفيَّة على نفسها؛ واستيراد وتصدير ما يُناسب مَوضوعاتها ومسَارتها دلالةٌ على الإنفتاحِ والشُّمُوليَّةِ التي تجعل المفاهيمَ الخاصة بها عُرضةً للمُساءلةِ والنَّقدِ والتَّحجيم، ممَّا يعني ارتهان الرُّؤى بالمُستجدَّاتِ التي تُغيِّر ما هو ثابتٌ وجامدٌ لا جدوى منه، والبدء برحلةِ التقنين والتخصيصِ والتوجيه، أي الإنتقال من مَرحلةِ المَفاهيم إلى مرحلةِ التحديد المُصطلحيِّ الذي يختزلُ ما يَراهُ مُناسباً من تلك المفاهيم، ويضعها في سَلةٍ واحدةٍ مُعنونة تُغني من يتطلَّع إلى السُّمنةِ المعلوماتيَّةِ في حقلٍ ما من حقولِ المَعرفة، ولكون الحقل النقدي من أكثر الحقول احتياجاً للمُصطلحات بسبب تشظي الفلسفاتِ الفكريَّةِ والانتماءاتِ الايديولوجيةِ للأدباءِ والنُّقادِ والعلماء؛ إرتأينا الخوضَ في مَتاهةِ مُصطلحين مُهمَّين هما: البنيويَّةُ والجنسُ الأدبي. وقد تضمَّنتْ خُطَّةُ البحث الآتي: التمهيدُ: جُذور المُصطلح وتكوينه، وفيه تحدَّثنا عن كيفيةِ الإنتقالِ من ميدان المفاهيم إلى ميدان المُصطلح الذي يتأثَّر بالتطوُّرِ التاريخيِّ والعامل البيئي؛ ويكون على هيأةِ لفظٍ أو تركيب. المِحورُ الأول: إشكاليَّة مُصطلح البنيويَّة: وفيه بيَّنا تعدُّد الرؤى لدى النقادِ على الصعيدينِ الغربيِّ والعربيِّ ومِنْ ثمَّة اختلاف المُسمَّيات، ولاسيما بروز مُصطلح المنهج وطغيانه على المُصطلحاتِ المُجاورةِ له كالفلسفةِ والعلمِ والمذهب. المِحورُ الثاني: إشكاليَّة مُصطلح الجنس الأدبي: تحدَّثنا فيه عن الإختلافات بين النقادِ كذلك وعلى الصعيدينِ الغربيِّ والعربيِّ، وكيفية سيطرة مُصطلح الجنس على المُصطلحاتِ المُجاورةِ كالنَّوعِ والشكل. وختاماً نسالهُ تعالى الرِّضا فيما قدَّمنا، ونتمنى إفادة من يَبتغي الإفادة.

الكلمات المفاتيح: المُصطلحُ، البُنيويَّةُ، الجِنسُ الأدبيُّ، النقدُ، الإشكاليَّةُ، المفاهيمُ.

التَّمهِيدُ

جُذورُ المُصطلح وتكوينه

تعتمد الحقولُ المعرفيَّة والمعارف الإنسانيَّة على مبدأ التقنين والتوصيف المُباشر والتحديد النوعي للمعلومات الناشئة عن المفاهيم العامة في الحياة، فالمفاهيم تتولَّد من الموضوعات المُتداولة ويتبناها عددٌ كبيرٌ من الناس في هذا المجتمع أو ذاك، وتختلف كذلك بحسب البيئات والعصور الزمنيَّة، ولا يُمكن تغييرها وتحديث رؤاها إلاَّ في ضوء المُستجدات التي تطرأ على النظريات الفكريَّة والعلميَّة، ولهذا يلجأ العلماء والمفكرون إلى إيجاد أرضيةٍ مُناسبةٍ للإفادة من تلك المفاهيم؛ وتمثل

أ.د سامي شهاب احمد – رئيس قسم اللغة العربية – كلية التربية للعلوم الانسانية – جامعة كركوك – العراق -
[2] sami_samiahmd@yahoo.com

ذلك بتحديد المُصـطلحات التي تكون قادرة على اختزال تلك المفاهيم وتطويعها لمُناسـبات مُعينة؛ وإزالة الفائض الذي لا يُقدِّم سُبل التأثير في المُتلقي التوَّاق إلى المعرفة المُحدَّدة للموضوعات والثقافات، وعليه فالمُصطلح وسيلةٌ تعريفيَّةٌ وتفسيريَّةٌ مُهمّة للمفاهيم العامة؛ ويتضـح دورهُ من خلال التركيز على قنوات تكون بمثابة النواة التي تجمع الرؤى العامة المُتشـابهة والمُتجاورة؛ ثم البدء بعملية صقلها وتجهيزها على وفق الفكر المُعاصر والتيَّارات المُلمَّة بالحقل المعرفي الذي يتم الإشتغال فيه. وفي إطار هذا التوجُّه فإنَّ المُصـطلحات تتنوَّع بتنوع تخصُّـص العلوم والأجناس الفكريَّة، فلكلِّ علم أو جنس فكري مُصـطلحاته الخاصـة التي تُعرِّف به وتُقدِّمه في ضـوء مُعطيات التطوُّر التاريخي من جهة، والعوامل البيئيَّة من جهةٍ ثانية، إذ لا تبقى المُصـطلحات على حالها في ظل التقدُّم الزمني بل تتعرض إلى تصـدُّعات البناء الفكري المُتتابع للأجيال عبر الزمن التاريخي، كما أنَّها تتفاعل مع العوامل البيئيَّة البانية لمفاتيحها وتنوُّع مُسـتلزماتها على أسـاس التأثير والتأثر أي الإعطاء والأخذ، لتصل النتائج إلى مكامن الأهداف وتحقيق الغايات. وهذا يعني أنَّ " شكل المُصطلح يتعدَّد بتعدُّد حقول المعرفة وتبعاً للأثر التاريخي الذي يتطور في ضـوئه، ثم إنَّ انتماء المُصـطلح إلى حقل معرفي مُحدد يرتب عليه أنْ ينتظم في علاقة جدل خصـبة، كونه مُنتجاً للمعرفة من جهة، وخاضـعاً لأُطرها العامة الموجّهة، وكل هذا يكشـف الأهمية التاريخية والمعرفية للوقوف على مُمارسـات المُصـطلح بُغية ضـبط شـكله ومفهومه . " . (بو خاتم ، مولاي علي 2005 : 29)، فضـلاً عن التطوُّر التاريخي والبيئة فإنَّ المُصـطلحات تدخل في حيز الإنشـطار والتعدُّد الداخلي الذي يخدم الحقول المعرفية أكثر فأكثر في مسـألة الدقة والتركيز وتقييد النتائج وتوصـيفها على نحو مُنضـبط ومُقنَّن، إلى جانب ذلك تبدأ مرحلة الإسـتيراد والتصدير من بعضها لتقارب الأدوات وتشاكُل المعاني، وهذا ما يؤدي إلى توسيع دائرة التخصيص التي تبغي صبَّ الجهود في مُنعطفٍ ثابتٍ تتمثل هُويته في الإنتماء للفظٍ أو تركيبي دالاً على مُحتوى المفاهيم المُتشـظية؛ إذ يُمكن " اعتبار المُصـطلح رمزاً اتفاقياً لتصـوُّر ما، يتألف من أصـواتٍ منطوقةٍ أو الشـكل الذي تمثل به كتابياً أي عن طريق الحروف، ويكون في صـورة كلمة أو عبارة، ووفق هذا الاعتبار يُمكن كذلك أنْ يرد المُصـطلح في شـكل كلمة، وقد تحوي مورفيماً واحداً أي عنصـراً معنوياً غير قابل للتقسـيم أي حرفما أو يحوي عدة موفمات، كما يُمكن أنْ نعثر في المُصـطلحات على مجموعةٍ تركيبيةٍ syntactic croub من الكلمات " . (بو خاتم ، مولاي علي 2005 : 28).

وفي اتجاه الأجناس الأدبية والمعارف الأدبيَّة واللُّغويَّة على اختلاف أشكالها وتخصُّصاتها؛ نجد أنَّ عملية الأخذ والتطوير ثم التحديد والتنظيم تأتي بفضـل كثرة النظريات والمدارس والتيارات الأدبيَّة والنقديَّة والفلسـفيَة؛ وهي تعمل جاهدةً على تطويع المُقاربات والمُماثلات التي تخدم امكاناتها وتوجُّهاتها، لكي تصـل إلى مراحل مُتقدِّمة من المعايير والمقاييس التي تضـبط المفاهيم وتجعل مسـاراتها مُفيدة وغنيَّة، ويتمثل التطوير في عملية تشـكيل المُصـطلحات في ميدان الفكر الأدبي والنقدي بالأخذ والحذف والإمتصـاص والتحويل والتوليد والنقل وكل ما يتصـل بهذا الشـأن؛ وذلك بحسـب الجنس والحقل المعرفي الأدبي من جهة، وبحسـب انتماءات النقاد والمفكرين الفلسـفيَّة والفكريَّة والمعرفيَّة؛ فاختلاف أذواق المُشـتغلين يؤدي إلى

اختلاف الرؤية في المُصـطلح وطريق وجوده ووضـعه ضـمن هذا الحقل أو غيره. أي أنها عملية تخضـع للمُتغيِّرات في كلِّ وقتٍ وحين، ولهذا كثُرت المُصطلحات وتعدَّدتْ مَجالاتها.

ولأهميَّة ما ذكرنا فإنَّنا سنُسلِّط الضوء على مُصطلحين مُهمَّين أُثيرت بشأنهما الآراء؛ وأصبحا مدار الإشكاليَّة المُصطلحيَّة، وهما مُصطلح البُنيويَّة، ومُصطلح الجنس الأدبي .

المِحورُ الأول : إشكاليَّة مُصطلح البُنيويَّة

تشهد الساحةُ الأدبيَّة على الدوام نشأة المناهج النقدية التي تجعل الأثر الأدبي محوراً للقراءة والمُتابعة والمُساءلة، وهي مناهج تتمايز فيما بينها من حيث آلية عملها وجهازها المُصطلحي وخصائصها وعلائقها مع الفلسفات وغيرها، فضلاً عن ما تتضمنه من شروط وقوانين ومبادىء تسير على وفقها ولا تحيد عنها، ومن ثمَّة فإنَّ النتائج المُستحصلة تكون مُغايرة بحسب كل منها، فمنها ما يهتم بالواقع الاجتماعي المُحيط بالنص، ومنها ما يهتم بالكشف عن البواعث النفسية للمُبدع، ومنها ما يهتم بالتركيز على الإنطباعات التأثرية لتجربة ما، ومنها ما يركز على الجوانب التاريخية، ومنها ما يقف على النص ويغلقه ويجعله جديراً بالدراسة من دون المُعطيات الأُخرى التي تبغي المناهج الأُخرى الكشف عنها.

هذه المناهج المعروفة المُتداولة كالمنهج التاريخي والنفسي والاجتماعي والتأثُّري وغيرها لم تعد وحدها جديرة بالعناية من النقاد والدَّارسين، بل ظهرت مناهج تتعامل مع النص كنص بذاته وليس غير ذلك، وهي مناهج أخذت صداها في أوربا إبَّان القرن العشرين وحتى وقتنا هذا، فالبنيوية والسيميائية والتفكيكية وغيرها من المناهج التي تُسمى بالنصية قد تعاملت مع الأثر الأدبي من منظار كيانه اللغوي لاكتناه دلالاته ومعانيه؛ مع فارق الرؤية بأهميته من عدمه وكذلك الآليات الموجبة للعمل. لذا ونظراً لأهمية هذه المناهج ولاسيما الأخيرة وما أثيرت حولها من ضجَّة نقدية بسبب ما يشوبها من عيوب فضلاً عن مزاياها الخاصة؛ فإننا ارتأينا اختيار إحدى هذه المناهج التي تتعامل مع النص بمعزلٍ عن المؤثرات الأُخرى، ألا وهو المنهج البنيوي الذي أثيرت بشأنه دراسات ومُساءلات ومُغالطات كثيرة على الصعيدين الغربي والعربي، لكونه مثّل طفرة جديدة في عالم التعامل مع النص الذي يكون على أساس هويته اللغوية وتفحص دلالاته عبر شبكة الثنايات الضدية والأنساق والبؤرة وغيرها.

تنوعت رؤى النقاد والباحثين بشأن البنيوية بحسب الخلفيات الإيديولوجية والانتماءات الاجتماعية والفكرية والفلسفية، فمنهم من يرى أنَّ البنيوية منهج يرمي إلى اكتشاف أبنية اللغة وتطورها في ضوء الانتماء النصي المُغلق، ومنهم من يرى أنها فلسفة شأنها بذلك شأن الفلسفات الأخرى كالوجودية والماركسية وغيرها؛ ان جذورها ضاربة في عمق الإنفتاح العقلي الباحث عن الحقيقة وكذلك في أصول التجريب، ومنهم من يعدُّها علماً على خلفية ارتباطها بعلوم خاصة كالأنثروبولوجيا (علم الأجناس البشري) والسيسيولوجيا (علم الاجتماع) والسايكلوجيا(علم النفس) والإيبستمولوجيا (نظرية في المعرفة) وغير ذلك من العلوم، ومنهم من يرى أنَّها مذهب له خصائصه ومبادئه العامة التي ينبغي أنْ يُحتذى بها، ومنهم من قال إنَّها مدرسة لها قواعدها وشروطها، فضلاً عن التسميات الإصطلاحية الكثيرة التي لم تحظ باهتمام كبير. وإذا ما أردنا الوقوف إلى جانب إحدى هذه الإصطلاحات فإنه ينبغي علينا بيان وجهة النظر الدقيقة وراء هذا الميل، وهذا لا يتم إلاّ عن طريق عرض بعض الآراء بشأن هذه الإشكالية ابتداء من النقاد والدارسين الغربيين وانتهاء بالعرب؛ لكي تتضح الصورة أمام المتلقي التوَّاق للمعرفة والإدراك.

مُصطلحُ المنهج

إذا ما ابتدأنا من شيخ البنيويين المُعاصرين (كلود ليفي شتراوس) نجد أنه قد نفى صفة الفلسفة عن البنيوية وعدَّها منهجاً للبحث العلمي، أمّا (جان بياجيه) صاحب كتاب (البنيوية) فهو الآخر يُؤكد على انها منهج لا مذهب، وهي إذا اكتست طابعاً مذهبياً فستقود إلى كثرة المذاهب (ابراهيم، زكريا :23)، كما أنَّ (تزفيتان تودوروف) يؤكد في العديد من المُناسبات أن البنيوية منهج تطور في مجال علم اللغة (اللسانيات) وليس غير ذلك، في حين يؤكد (روبرت شولز) في رؤيته العميقة التي ميّز وفرق من خلالها بين الإيديولوجيا والمنهج أن الماركسية في جوهرها ايديولوجيا، بينما البنيوية هي منهج باحث في وحدة جميع العلوم في نسق من الإيمان (ثامر، فاضل 1993 :56)، كما أعطانا (جون ستروك) في كتابه (البنيوية وما بعدها) رأيه بصراحة وذلك بائن في قوله : " إنَّ البنيوية ليست مذهباً بل هي منهج. إذ لا يُمكن للمرء أنْ يُصبح بنيوياً بالطريقة التي كان يُمكن له أنْ يُصبح بها وجودياً " (ستروك ، جون :7)، كما يعدّها (جيرارد جينيت) في كتابه (البنيوية والنقد الأدبي) منهجاً لسانياً (جينيت ، جيرارد 1986 :24) ، وفي معرض انتقاده للمعنى المعرفي للبنيوية أكد (سارتر) على" ان البنيوية منهج يؤدي إلى تطبيقات ايديولوجية أو فلسفية وليست فلسفة، ولهذا فقد انتقد العقل التحليلي بوصفه انثروبولوجيا " (ابراهيم ، عبد الله وآخرون 1990: 59) .

وفي الإطار العربي نجد انضمام الكثير من النقاد والدارسين مع فكرة عدّ البنيوية منهجاً؛ وهذا ما سيجعل المصطلح يتعالى على المصطلحات الأخرى ويأخذ مكانه ويتربع على عرش التسليم به بنسبة عالية ومقبولة، فالناقد كمال أبو ديب في كتابه التطبيقي عن البنيوية (جدلية الخفاء والتجلي) يُعطينا انطباعه منذ البداية بشأن انتمائه في هذه القضية، فهو يُطالعنا في مقدمة كتابه بوجهة نظره عن البنيوية بقوله: " إنَّ البنيوية ليست فلسفة لكنها طريقة في الرؤية ومنهج في مُعاينة الوجود " (أبو ديب ، كمال 1979 :4)، كما يؤكد محمد عناني في كتابه (المصطلحات الأدبية الحديثة) في معرض حديثه عن البنيوية في الغرب على كونها منهجاً للتحليل ونظرية للأدب، وانها في جوهرها تبحث عن النظم الكامنة في الظواهر دفعة واحدة أي مُجتمعة لا مُنفصلة (عناني ، محمد 3003 : 101، 102).

ويحذر صلاح فضل علناً من وصف البنيوية بالمذهب، بل عدَّها منهجاً علمياً مُستنداً بذلك الى تأكيدات زعماء البنائية من حيث وصفهم البنيوية بالمنهج لا مدرسة مذهبية ولا حركة فكرية، ولا ينبغي حصرها في مجرد نزعة علمية، وعلى مقربة من هذه الرؤية نجد أن حسن البنا عز الدين في كتابه (الكلمات والأشياء) قد أبعد البنيوية عن مسألة كونها مذهباً مُحدداً يُسمح له بالإفادة من المناهج المشابهة؛ أو النظر إليها على انها مُجرد نظرية وعدَّها منهجاً قائماً على الأنشطة الفكرية والعقلية. (ثامر ، فاضل 1993 : 55)، فضلاً عن ان رأي كل من ميجان الرويلي وسعد البازعي في كتابيهما (دليل الناقد الادبي) ينصب بوصف البنيوية بالمنهج والمذهب الفكري في الوقت نفسه، وهذه المنهجية لها ايحاءاتها الإيديولوجية كونها تسعى

إلى توحيد العلوم جميعها في نظام خاص من شأنه أن يُفسر علمياً الظواهر الإنسانية كافة علمية كانت أو غير علمية (الرويلي، البازعي 2000 : 32 ، 33) .

وفي معرض حديثه عن الإشكالية الإصطلاحية في كتابه (مشكلة البنية) ورأيه الذي جاء بعد أن وجد ان البنيوية هي قبل كل شيء ايبستيمولوجيا (نظرية في المعرفة) وليست ايديولوجيا، توصل زكريا ابراهيم انه بالإستناد على كون البنيوية ايبستيمولوجيا فهذا يعني انها " مجرد مُحاولة علمية منهجية لدراسة الظواهر عموماً والظواهر البشرية خصوصاً من وجهة نظر (البنية)، سواء أكانت البنية هي النموذج أو البناء الصوري أم كانت مجموع العلاقات الباطنة المكونة لوحدة أي موضوع من موضوعات العلم " (ابراهيم ، زكريا :25)، فضلاً عن تأكيد عبد الله ابراهيم وآخرون على ان البنيوية وما بعدها ما هي إلاّ مناهج نقدية لدراسة الأدب؛ فعنوان كتابهم هو (معرفة الآخر– مدخل إلى المناهج النقدية) وكل ما ورد في متن الكتاب فيه إشارة صريحة وواضحة على كونها منهجاً، إذ نجد في الصفحات الأولى هذا الوضوح" لم يكن الوقوف على هذه المناهج مُجرداً من الرؤية الحوارية التي تنطلق من المُساءلة بما تراه مُفيداً للقارىء العربي، وذلك في محاولة للوقوف على كفاية هذه المناهج في حقولها وفي استراتجياتها الأساسية" (ابراهيم ، عبد الله وآخرون 1990 :6)، وهناك آراء أخرى لنقاد غربيين وعرب تعد البنيوية منهجاً وليس غير ذلك، ولا نريد التوسع والاطراد.

مُصطلحاتٌ أُخرى

بعد سلسلة الإنتماء والتحيُّز للمنهج عند عدد من النقاد والدارسين باختلاف ارتباطاتهم الفكرية والفلسفية والمجتمعية؛ نجد في الطرف الآخر مجموعة تبتعد عن هذا الخط وتُرجِّح كفَّة الإلتزام بإحدى المُصطلحات المُنافية لمصطلح المنهج؛ مُستندة إلى الأدلة الداعمة لهذا التوجُّه المُغاير عن الأول، فزكريا ابراهيم يعرض لنا مسار النقاد الغربيين بشأن هذه القضية اذ يقول: " إنَّنا سرعان ما نلتقي بباحثين آخرين من أمثال كانجليم يشكون حتى في امكانية قيام منهج بنيوي، وهذا فرنسوا شاتليه نفسه وهو من المُتحمِّسين للبنيوية يعرب عن رأيه بصراحة فيقول: إنَّه ليس ثمة مذهب بنيوي، بل رُبَّما كان في استطاعتي أن أذهب إلى حد أبعد من ذلك فأقول: إنَّه ليس ثمة منهج بنيوي، ثم يستطرد هذا المفكر الفرنسي فيقول: إنَّ السمة المُميزة للفكر البنيوي على نحو ما أعرفه هي في الواقع حرصه الشديد على التزام حدود العلمية التامة، واما البنيوية كمذهب فهي في رأي شاتليه مُجرد اختراع ابتكره الراغبون في الإنتقاص من قدر البنيوية، ولهذا يقرر شاتليه في آخر المطاف ان البنيوية هي أشبه ما تكون بحالة ذهنية مُشتركة لابد من العمل على اكتشاف السمات المميزة لها. " (ابراهيم ، زكريا : 24)؛ هذه الرؤية لقضية الإصطلاح في هذا النص تجعل من البنيوية ايديولوجيا محضة مُعتمدة على حدود العلمية التامة، أي هي تصب في جانب كونها علماً.

وذكر فاضل ثامر في بحثه الموسوم (البنيوية بين المنهج والعلم والفلسفة) أنَّ (رجارد هارلاند) ألَّف عام 1986 كتاباً يدرس فيه البنيوية بوصفها فلسفة؛ وكذلك الحال بالنسبة للكاتب (رجارد كيرني) الذي ألَّف كتاباً خصَّصه لدراسة الحركات الحديثة في الفلسفة الأوربية، وقد تعامل مع البنيوية بوصفها فلسفة لا مذهباً أو أي شيء آخر.(ثامر ، فاضل 1993 : 56)، واذا ما

انتقلنا إلى وجهة النظر التي أدلى بها الناقد العربي؛ فإننا نجدها مُتضاربة ولا يُمكن تقييدها أو تحديدها مُطلقاً، فالناقد فؤاد زكريا في كتابه (الجذور الفلسفية للبنائية) ينظر إلى البنيوية على انها فلسفة أو مذهب فلسفي وايبستيمولوجي في الوقت نفسه، مُستنداً بقوله هذا إلى كون البنيوية في أساسها منهجاً للتفكير، ولم تصبح مذهباً فلسفياً إلاَّ بعد أنْ تنبَّه له عدد من المفكرين وحدَّدوا معالمه ومبادئه بعد أنْ كان يُطبَّق بصورة ضمنية وعفوية، وهو بذلك يجعل البنيوية مذهباً فلسفياً مُتكوناً في الفكر المعاصر.(ثامر ، فاضل 1993: 55).

وتأكيداً على القيمة الفلسفية التي جاء بها فؤاد زكريا بوصف البنيوية مذهباً فلسفياً، يُحاول زكريا ابراهيم وضعنا أمام رؤية جديدة في ختام تصوُّراته لهذه الإشكالية؛ وذلك من حيث امتعاضه لدراسة البنيوية بمعزل عن الفلسفة والايديولوجيا وعدَّ ذلك أمراً ناقصاً إذ قال: " غير ان القول بان للبنيوية رسالة علمية لأن النشاط الذي تقوم به يندرج تحت باب النظر أو الابستمولوجيا أكثر مما يندرج تحت باب الفلسفة أو الايديولوجية انَّما هو في الحقيقة قول ناقص لا يضع بين أيدينا سوى نصف الحقيقة، والسبب في ذلك أنَّ البنيوية –كما لاحظ الكثيرون – تنطوي على منظور فكري خاص يحمل في طياته انقلاباً فلسفيا حقيقياً " (ابراهيم ، زكريا : 25).

أمَّا من عدَّها مدرسة من النقاد الغربيين فيبرز اسم (م.ه.ارامز) وذلك بحسبما جاء في كتابه (معجم المصطلحالت الأدبية)؛ وهو من أكثر الكتب انتشاراً في الأوساط الغربية بدلالة طبعه للمرة الرابعة عام 1981، فقد أكد فيه على اسم المدارس النقدية الحديثة الخاصة بدراسة النصوص والآثار الأدبية (ابرامز 1987 : 43)، كما ذكر عمر الطالب أنَّ الناقد ستانلي هايمن في كتابه (النقد الأدبي ومدارسه الحديثة) أطلق على البنيوية وما شابهها اسم المدارس النقدية، وقد ردَّ على ذلك بقوله: إنَّ المذهب أوسع اصطلاحاً من المدرسة كونها تنضوي تحت المذهب الذي تنضوي تحت لوائه العديد من المدارس (الطالب ، عمر محمد 1993 : 9)، وبسبب هذه الرؤية ارتأى عمر الطالب تسمية كتابه بـ(المذاهب النقدية)، مُعرباً عن تبنيه رؤية علي جواد الطاهر التي ترى البنيوية مذهباً نقدياً وهذا واضح في قوله: " إنَّنا نجد مصطلح المذهب أكثر دقة من مصطلح المنهج الذي اختاره باحثون آخرون، لأنَّ المنهج يُستخدم في الدراسة الأدبية لا في نقد النص الأدبي "(الطالب ، عمر محمد 1993: 8).

وفي ضوء ما تم تقديمه لا يُمكن التسليم بفكرة التحديد التام لمصطلح البُنيوية، فالخلاف مازال قائماً وهو كبير بين النقاد والباحثين؛ بسبب ما يمتلكونه من حجج مقبولة وأدلة منطقية تؤهلهم للخوض في هذا المجال، ولكن من خلال قراءتنا واطلاعنا نُرجِّح كفَّة مُصطلح المنهج على المصطلحات المجاورة الأخرى، فالمنهج البُنيوي يمتلك ملامح خاصة تجعله غير خاضع لفلسفة أو ايديولوجيا أو علم ولا يلتبس بها على الرغم من علاقته الصميمة معها، فالبُنيوية بوصفها منهجاً لا تتحول إلى علم أو فلسفة أو ايديولوجيا، بل تبقى منهجاً لدراسة الأنظمة اللُّغوية واستنطاق دلالاتها.

المِحورُ الثاني : إشكاليَّة مُصطلح الجِنس الأدبي

يصطدم الباحثون وهم يخوضون في غمار البحث عن الأجود والأقرب الى الصواب بشأن تحديد تعريف عام لمصطلح أو قضية ما بعراقيل كثيرة، والسبب يعود الى الرؤى المُتضاربة التي تنفث ما تراه صالحاً ويجب الاحتذاء به، وهذا بالتأكيد يتطلب من الباحث الدقة في توخي الحذر وعدم الاستسلام لهذا الرأي أو ذاك حتى يستطيع أن يستشف الرأي الأجدر منها وتوظيفه في كتاباته المتعلقة بهذا الأمر، وعليه واستناداً الى ما تقدم فإنَّ تحديد تعريف خاص لمصطلح الجنس أو الجنس الأدبي لا يأتي بالسهولة التي قد يظنها كثير من الباحثين، بل بالإستفاضة العميقة لاختيار ما يتناسب مع الموضوع، وبما اننا بصدد التطرق الى الرأي العربي من خلال ما قاله النقاد بهذا الخصوص وعلى كم قسم ينقسم الجنس الأدبي فإنَّ تعريفنا للجنس سيكون مُقتضباً ومُحدداً؛ولا مجال للخوض في هذه المتاهات التي لا نبغيها.

لا يُمكن تعريف الأجناس الأدبية بتسميتها الإصطلاحية (الأجناس الأدبية)؛ لأنها جاءت عند كثير من النقاد والباحثين تحت تسمية (الأنواع ، أو الأشكال الأدبية وغير ذلك)، لذا سنلجأ الى تعريف الجنس الأدبي الذي بدوره سينسحب على بقية الأجناس الأُخرى لتناظرها وتوافقها من حيث المبدأ العام، ومُتخالفة في الجوهر والآلية والكيفية في التطبيق، لذا فالجنس الأدبي هو مجموعة الأنظمة والقوانين الموضوعة في نسق عام والتي تمارس سلطتها العليا على التنظيم الابداعي للمُنتج وتصبغه بآليات وكيفيات تميّزه عن غيره، وهي تعمل جاهدة على المحافظة عليه وعدم السماح لمبدعه التغيير في معالمه والتقنع بمظاهر التجديد؛ إلاّ ان هذا الأمر غير مُمكن لتغيُّر رؤى المبدع تبعاً للظروف الإجتماعية المُحيطة به والتي ترغمه على الإفلات من أسره ومُحاولة تحديث ما يُمكن أنْ يكون مُلائماً لروح العصر، وعليه فالجنس أو النوع الأدبي " كالنوع البيولوجي: ينشأ ويتطور وينقرض؛لكن المنقرض من الأنواع الأدبية كالمنقرض من الأنواع والكائنات الحية لا يُفنى تماماً وانَّما تتواصل عناصر منه في النوع أو الأنواع التي تطوَّرت عنه " (تليمة ، عبد المنعم 1976: 135).

وفي إطار ذلك تصدر بعض الأجناس من وعي اجتماعي في بادىء الأمر ولكنها سرعان ما تتلاشى مع تقادم السنين فتتحول الى وعي فردي بحت، وللتمثيل لذلك نجد أنَّ الملحمة وهي أسطورية في فحواها عند اليونانيين وغيرهم قد انبثقت من احساس اجتماعي وذلك لغرض التنفيس عما يريدون التعبير عنه؛ ولكن الإحساس الإجتماعي بدأ يفقد بريقه بعد التخلي عن الواقع الملحمي (الأسطوري) وأصبحت الحاجة مُلحة للانطلاق من الرؤى الفردية؛ فانبثقت على غرار الجنس الملحمي الرواية والقصة اللتان تعدان الوريث الشرعي للملحمة على الرغم من اختلاف مضامينهما وآليات خطوطهما التنظيمية عنها، وبرؤية أعمق نقول: إنَّ لكل جنس أدبي استقلاليته وذاتيته الخاصة عن بقية الأجناس ؛ تبعاً للعناصر المكونة له التي تتحرك في إطاره الخاص، وهي عناصر تعيش في نسيج واحد تكمّل احداها الأُخرى بُغية تحقيق عملية إبداعية تميز هذا الجنس عن غيره، وباكتمال دائرة العمل على وفق هذه العناصر تكتمل للجنس الأدبي هويته لينطلق عندها الى فضاء الأدب من زاوية العمل الابداعي، وهو بهذا يفرض نفسه " بهذه الخصائص على كل كاتب يُعالج فيه موضوعه مهما كانت أصالته، ومهما بلغت مكانته من التجديد ولا يستغني عن الإحاطة بهذه الخصائص الفنية كاتب ولا ناقد من النقاد " (هلال ، محمد غنيم: 137).

وبعد أنْ وضعنا تعريفاً للجنس الأدبي الذي قد لا يرتضيه القارىء يُمكن العودة الى مسألة الإشكالية في المصطلح التي نوَّهنا عليها مُسبقا؛ فهناك اختلاف بين النقاد والباحثين والدارسين على تسمية المصطلح وتحديد شكله؛ وكلٌّ منهم ينطلق من رؤاه الايديولوجية وانتماءاته الاجتماعية وقيمه المفروضة عليه التي تجعله مُقيداً أو مُتحرراً في عرض الأفكار، فوجهات النظر في المصطلح " تتباين بحسب المعيار الذي يحتكم اليه الناقد في ضبط نوعية الجنس الأدبي أولا، ثم تتباين بحسب تحديد المقومات الفنية التي تميز ذلك الجنس عن أضراب الأجناس الأدبية الأخرى ثانياً، وبذلك تتولد القضايا الإشكالية في دائرتين: أولاهما دائرة ضبط الجنس وحده؛ والثانية دائرة تحليل عناصره بقصد تأويل دلالاتها " (المسدِّي ، عبد السلام 1989 : 107).

هذا الاختلاف في الرؤى هو الذي أحدث الإرباك والفوضى في تحديد ما يُسمح تحديده من مصطلح، وعليه وفي استقراء بسيط يُمكن بيان مجموعة من الاختلافات الواردة بين النقاد العرب من خلال الوقوف على كتبهم وبحوثهم المنشورة، فالنقاد أمثال محمد غنيم هلال في كتابه (الأدب المقارن)، وعبد السلام المسدِّي في كتابه (النقد والحداثة)، واحمد كمال زكي في كتابه (دراسات في النقد الأدبي)، وفؤاد مرعي في كتابه (مقدمة في علم الأدب)، ورشيد العبيدي في كتابه (دراسات في النقد الأدبي)، وخلدون الشمعة في بحثه (الأجناس الأدبية من منظور مختلف)، وعبد الاله الصائغ في بحثه (التجنيس بين الخطابين الشعري والسردي) وغيرهم أكدوا على مصطلح الجنس الأدبي ولم يستعملوا مصطلح النوع الأدبي أو الشكل الأدبي. ولكننا نجد في الجهة المُقابلة أنَّ عدداً من النقاد قد ركزوا على مصطلح النوع وهم كلٌّ من عبد المنعمة تليمة في كتابه (مقدمة في نظرية الأدب)، وعلي جواد الطاهر في كتابه (مقدمة في النقد الأدبي)، وعبد الله ابراهيم في بحثه (مقدمة في نظرية الأنواع الأدبية) وغيرهم كثير، كما أنَّ عدداً من الكتب التي تُرجمت للعربية استخدم فيها المترجمون مصطلح النوع كذلك، وهذا واضح في كتابه (نظرية الأدب) لرينيه ويليك ، وكتاب (نظرية الأدب) لعدد من الباحثين السوفيت المُختصين. ومن هذا الإستقراء نستدل على كون المصطلح ما زال قيد الدراسة والتمحيص بدلالة عدم تحديد وجهة عامة له واي تسميات تناسبه، لهذا قال خلدون الشمعة " ليس ثمة معادل لهذا المصطلح في النقد الأدبي وان كانت كلمتا (نوع وشكل) تستخدمان في موضع جنس أحيانا، وهذا يؤكد على ان المصطلح ما يزال مُقلقلاً وغير مستقر، بل لعله يُشير الى الاضطراب الذي يُحيط بمسألة تطور نظرية للأجناس الأدبية المُعاصرة " (الشمعة ، خلدون 1997: 127).

هذا الإختلال في المصطلح راجع الى امكانية تطور الأجناس عبر العصور المُتعاقبة بحسب ما يأتي به المبدع من ملامح جديدة تُفضي بإضفاء لمسات حيوية على عناصر هذا الجنس أو ذاك، ومن ثمَّة وبحسب هذا التغيير والتنوع والإستمرارية في التبديل تتولد في المُقابل لدى النقاد والباحثين ردة فعل مُشابهة تجعلهم يتوخَّدون في مجالات كثيرة الغرض منها الاهتداء الى التسمية المصطلحية المُناسبة لهذا الجنس وغيره الذي تطور بعض الشيء. ومهما يكن الإختلاف في هذه القضية من حيث تنوع المصطلحات لموضوع معين فإننا – وقد يكون هذا رأي غيرنا كذلك – نرى انَّ المُصطلحات جميعها وإنْ اختلفت من حيث الهيأة الشكلية المكتوبة، فإنها تكون مُترادفة الفحوى ولا تقبل القسمة على اثنين على الرغم من

اختلاف بعضها من جانب الزيادة والنقصان، وهذا أمر لا ضير فيه تبعاً للتغيُّرات التي تحصل – كما ذكرنا آنفا – على مرِّ العصور، شرط أنْ يحتفظ الجنس بجوهره العام المميز الذي يعد الفيصل بينه وبين الآخر، وسبب احتفاظ الأجناس بالجوهر العام هو " أولاً صدق عكسها لقوانين الوجود الواقعي؛ وثانياً توافق هذه الأجناس توافقاً كاملاً مع طبيعة الأدب ومهماته " (مرعي ، فؤاد 1981: 57). هذا النص يدفعنا الى جانب آخر من الموضوع وهو عرض السؤال الآتي: ماهي أهمية الجنس ووظيفته؟ وللإجابة على هذا السؤال نقول: إنَّ الجنس أرض خصبة بسبب ما ينثره المبدع من أفكار فوقها بحسبما يشاء، وهذه الأفكار والآراء التي يبغي إيصالها الى المتلقي عبر النصوص التي يكتبها هي نابعة من رحم المجتمع والايديولوجيات المُتمخضة عنه. لذا جاءت النصوص باختلاف اقباعها في الأجناس الأدبية شواهد حيّة على تمثيل الواقع أو قل هي مرآة عاكسة للرؤى المتبلورة في أفكار الجماعة أو الجماعات المنتمية لهذه الأفكار، وعليه نجد " انَّ الذي زاد قضية البحث في الأجناس قيمة انَّما هو وقوف الدارسين على ظاهرة أدبية تاريخية مدارها أنَّ الآداب الإنسانية تختلف من حيث نمط الأجناس السائدة ومعايير تصنيفها؛ وذلك بحسب الحضارات وما لكل واحدة منها من مميزات خصوصية، حتى أصبح البحث في الأجناس الإبداعية مطيَّة الدارسين الى استكشاف القيم الحضارية والفكرية عامة من خلال القيم الجمالية والفنية " (المسدِّي ، عبد السلام 1989: 108).

وفي الإتجاه نفسه تعدُّ نظرية الأجناس عملية ديناميكية متواصلة لها جذور في الماضي وارتباط بالمستقبل من خلال آلية ربطها اللاحق بالسابق؛ وهذا بفضل اعتمادها على العنصر الزمني الذي يُمثل مفتاحاً لجعل الأبواب مشرعة أمام التلاقح بين السابق واللاحق (زكي ، احمد كمال 1980 : 25). وهذا كله ما يقع في الشطر الأول من النص، أمّا الشطر الثاني الذي ركز على طبيعة الأدب ومهماته فالمقصود منه الوظيفة التي يؤديها النص الأدبي التابع لأي جنس من الأجناس، فطبيعة الأدب تكمن بإيصال أفكار المجتمع واعطاء انطباعات جوهرية عنها عن طريق صراع نصي مقبول يُفضي بعرض المضامين بقوالب مُحبَّبة ومؤثرة تدخل الى نفس المتلقي عنوة؛ وتجعله مُشاركاً فعلياً في عيش التجربة التي عرضها المبدع للنص، وهذا يقع عن طريق السيطرة على الأخيلة والعواطف والأفكار والأدوات اللُّغوية وتصنيع التراكيب المنتمية للسياقات، لكي تنجز فكرة التوصيل ويُحقق النص ما عليه ويترك أعقاب ما يحصل بعد ذلك للمُتلقي ليتصرف به كيفما يشاء. كما انَّ وظيفة الجنس من خلال النص تجانس طبيعة الأدب من حيث اتكائها على القيم الجمالية؛ وكل جنس يبغي تحقيق جماليات عالية المستوى من أجل الإرتقاء بنفسه والتعالي عمن سواه من الأجناس الأخرى، وذلك بحسب الثوابت والمُتغيرات التي ترافقه والآليات والإمكانات المتاحة له من استعمال مسموح وآخر مرغوب فيه، كما يخلق الجنس الأدبي " توقعات لدى المتلقي تنظم الكيفية التي يُمكن أن يفهم ويؤول بموجبها، وبهذا الإعتبار يُصبح الجنس الأدبي بعداً رئيسياً من أبعاد معرفة مضمرة أو سمطاً ينطوي على جملة من الإفتراضات والتقنيات القابلة للتأويل نعتمده أساساً ضابطاً من أسس عملية القراءة النقدية " (الشمعة ، خلدون 1997 : 143). وعليه فالإنطلاق من جوهر القضية مُجدداً وإماطة اللِّثام عن تجلِّيات الرؤى المُختلفة والمُتضاربة يُرجعنا الى دائرة المربع الأول التي تحتم علينا القول إنَّ الاختلاف في مسألة انتقالية المصطلح نابع من عدم وجود أسس ومعايير ثابتة تحكم ذلك، والتقنع باسماء ومُسميات جديدة وإنْ كانت في شكلها مُختلفة فهي متفقة من حيث

المضـمون ومُتقاربة مُترادفة في اعطاء الإنطباع أو الصـورة نفسـها عن الشـيء المُراد إيصـاله، وهذا يحيلنا الى قبول فكرة انَّ الأدب " مُتنوع جداً وهو يتطور باستمرار على نحو يتلاءم مع تطور حاجات الناس الفكرية والمعرفية؛ غير ان الدور الحاسم في نهاية المطاف يكون لطبيعة المواضيع التي يهتدي الأدب لتصورها " (مرعي ، فؤاد 1981 : 58). أي التي تكون مُعبرة ومُؤثرة وتُكتب بصـيغ مُنسـجمة وغير مألوفة في الوقت نفسـه؛ لتحقيق انطباعات صـورية مُماثلة بعض الشـيء عن الواقع المُحيط به الذي ينتمي بدوره للتنظيم الإجتماعي الفارض لسـلطته على المبدع الذي يُدلي في نصـه ما يراه مُلائماً في هذا التنظيم.

إنَّ دراسـة الأدب لا تكون بالنظر إليه من زاوية تعداد أجناسـه وإلى أي زمن تنتمي، وإنَّما الإنسـحاب على التقانات الفنية القابعة في النص كذلك، وهذا ما يؤكدهُ محمد غنيم هلال بقوله: " لايزال النقاد في الآداب المُختلفة على مرِّ العصـور ينظرون الى الأدب بوصفه أجناساً أدبية، أي قوالب عامة فنية تختلف فيما بينها لا حسب مؤلفيها أو عصورها أو مكانها أو لغاتها فحسب، ولكن كذلك على حسب بنيتها الفنية وما تستلزمه من طابع عام ومن صور تتعلق بالشخصيات الأدبية أو بالصيغ التعبيرية الجزئية التي ينبغي ألا تقوم إلاَّ في ظل الوحدة الفنية للجنس الأدبي " (هلال ، محمد غنيم: 136).

الخَاتِمةُ

بعد رحلةِ العملِ في ميدان النقدِ وتحديداً نظرتنا بشأن تعدُّد المُصطلحات فيه؛ يُمكننا القيام بعرض مَجموعةٍ من النتائج التي تمَّ التوصُّل إليها وهي كالآتي:

1 – هناك آراءُ مُتقاربةُ بين النقاد والباحثين الغربيين والعرب – وهي ما زالتْ قائمةٌ إلى لحظة كتابة هذا البحث – بشأن عدّ البنيويَّة منهجاً أو فلسفة أو علماً أو مَدرسة أو مذهباً، أو أي مُصطلح آخر.

2– في حُدود عمل البحثِ وما تمَّ جمعهُ من آراءٍ، فضلاً عن القراءاتِ الجانبيَّةِ الأُخرى تَوضَّح لنا أنَّ اصطلاح المنهج على البنيويَّة كان الأكثر عند النقاد والباحثين الغربيين والعرب، وهذا ما يجعل عملية الإقترانِ بين المُصطلحِ والمُسمَّى كبيرة جداً.

3– لم تُحسم قضيَّة الخِلاف ما بين النقاد والباحثين الغربيين والعرب بشأن تحديد مُصطلح (الجنس)، فمنهم من يذكر أنَّه جنسٌ، والآخر يقولُ إنَّه نوعٌ، والآخر يرى أنَّه شكلٌ وهكذا. وذلك بحسب الرُؤى الفكريَّةِ والإنتماءات الإجتماعيَّةِ والبيئية.

4– وجدنا أنَّ التخبُّط في صـوغ الآراءِ بخصـوص المُصـطلح راجعٌ إلى كون الجنس الأدبي لا يمتلك مَعايير ثابتة خاصـة به بمعنى المَعايير القارَّة التي لا يُمكن توظيفها في جنسٍ آخر، بل يمتلك الأُسـس العامة التي يُمكن الإمسـاك بها وعدَّها الجوهر الذي يستند إليه.

المصادرُ والمَراجع

الأدب المقارن– محمد غنيم هلال– دار العودة ودار الثقافة– بيروت– ط/5 – د.ت.

البنيوية وما بعدها– من ليفي شتراوس إلى دريدا– تحرير– جون ستروك– ترجمة– د.محمد عصفور– سلسلة عالم المعرفة – د.ت.

جدلية الخفاء والتجلي– دراسات بنيوية في الشعر– د.كمال أبو ديب – دار العلم للملايين–بيروت– ط/1–1979 .

دراسات في النقد الادبي– د. احمد كمال زكي– دار الاندلس– ط/2–1980.

دليل الناقد الأدبي– إضاءة لأكثر من خمسين تيارا ومصطلحا نقديا معاصرا– د.ميجان الرويلي ود.سعد البازعي– المركز الثقافي العربي– الدار البيضاء– ط/2–2000.

المذاهب النقدية– دراسة وتطبيق– د.عمر محمد الطالب– دار الكتب للطباعة والنشر–الموصل–1993.

مشكلة البنية– أو اضواء على البنيوية– د.زكريا ابراهيم– دار مصر للطباعة– د.ت.

المصطلحات الأدبية الحديثة– دراسة ومعجم انكليزي–عربي– د.محمد عناني– الشركة المصرية العالمية للنشر– لونجمان– ط/3–2003.

مصطلحات النقد العربي السيماءوي – الإشكالية والأصول والامتداد – د. مولاي علي بو خاتم – منشورات اتحاد الكتاب العرب – دمشق – 2005.

معرفة الآخر– مدخل الى المناهج النقدية الحديثة–عبد الله ابراهيم وآخرون – المركز الثقافي العربي– بيروت– ط/1– 1990.

مقدمة في علم الأدب– د.فؤاد مرعي– دار الحداثة– ط/1–1981.

مقدمة في نظرية الأدب– د–عبد المنعم تليمة– دار الثقافة– القاهرة–1976 .

النقد والحداثة– د.عبد السلام المسدّي– دار امية– تونس– ط/2–1989.

الدوريات

الأجناس الأدبية من منظور مختلف– خلدون الشمعة–المجلة العربية للثقافة– العدد الثاني والثلاثون–السنة السادسة عشرة– آذار–1997.

البنيوية بين المنهج والعلم والفلسفة– فاضل ثامر– مجلة الاقلام– العدد 11–12 – السنة الثامنة والعشرون–1993.

البنيوية والنقد الأدبي– جيرارد جنيت– ترجمة وتعليق– د.نزيه كسيبي– مجلة البيان–العدد–262–264–1986.

المدارس النقدية الحديثة– في معجم المصطلحات الادبية– م.هـ–ابرامز– ترجمة– د.عبد الله معتصم الدباغ– مجلة الثقافة الاجنبية– العدد–3– بغداد–1987.